ملامح التجاوز العقدي في مشروع حسن حنفي

بقلم

عائـشة حورة أ.د/ مرزوق العمري

جامعة الحاج لخضر – باتنة 1

merlamri@yahoo.fr aichahora69@gmail.com

المقدمة:

إن تنوع الخلفيات الفلسفية التي استند إليها معظم العلمانيين الحداثيين العرب، قد فرض الاختلاف في الرؤية، والمنهج وتحديد المشروع، ذلك ما كان الدافع القاعدي المؤسس لمخطط مشروع (التراث والتجديد)، باعتباره الآخر المغاير، والموقف النقدي القائم على تجاوز كل تفكير أسطوري، المنطلق أساسا من التسليم الطبيعي لكل ما رسخ في العقول والأفئدة من قناعات، خاصة وأن الثورة استهدفت الثوابت التي أصبحت في عصر العقل من الميتافيزيقا اللامفكر فيها أو اللامعقول، وبالتالي تفكيكها وتجاوزها (التخلية)، وبناء البديل المادي المحسوس والمعقول (التحلية).

أهمية الموضوع: تكمن في الدراسة التحليلية العميقة لكتابات حسن حنفي ومضمون مشروعه، لكونه مقدمة أساسية لتصور المشروع الحداثي الأوسع في مراجعة التراث واقتراح منهج مبتكر لتجديده.

الإشكالية: ومن هذا المدخل تتبلور لدينا إشكالية محورية، حيث:

. إلى أي مدى تمثل حسن حنفي النظريات والمناهج الغربية، واعتمدها ضمنيا في مشروعه؟

. كيف قولب مصطلحها ومنهجها وبنيتها الاجتماعية، لتتلأم مع تكريسه لفكرة التجاوز؟

– كيف يتم تفكيك التجاوز العقدي في ضوء أطروحته "الأصالة والمعاصرة"؟

الدراسات السابقة: الحقيقة أن مشروع (التراث والتجديد) قد أحدث فوضى فكرية عارمة، فلا تكاد دراسة تخص الحداثة تذكر إلا وقد كان لحسن حنفي نصيب منها، أغلبها مقالات منشورة في مواقع الإنترنت، من هذه الدراسات نذكر:

– مراجعة نقدية في فكر حسن حنفي، جمال قاسم.

– الصلة بين الوحي والواقع في فكر حسن حنفي (محاولة للتفهم)، د. بلال مقنعي.

– التراث والتجديد في فكر حسن حنفي، هاني السباعي.

– إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، كريمة كربية.

– مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي(مخططه وسماته)، بوبكر جيلالي.

– التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم(دون ذكر الكاتب)، مجلة رؤية تركية.

– فلسفة حسن حنفي، مقاربة تحليلية نقدية، مصطفى النشار.

تعتبر هذه الدراسات المعالجة لمشروع المفكر حسن حنفي، بعض من التحليلات والمناقشات الثرية، التي مس فيها أصحابها مختلف زوايا الرؤية الخاصة بالمفكر، بين مفعّل وناشد بنظرته، وآخر ناقد ومتحفظ من طرحه ومنهجه، والتزاما بموضوع دراستي قد وظفت ما تعلق بمحور أصول الدين كمقاربة نقدية، لإبراز بؤر التجاوز العقدي في مشروعه، مع بيان بعض من التناقضات الكامنة في أرجاء مشروع التراث والتجديد.

د **منهجية المعالجة والتقسيم**: ككل بحث علمي، بنيت مداخلتي على المنهجية التالية:

مقدمة:

المبحث الأول: توضيح مفاتيح الدراسة:

مطلب 1: ملامح التجاوز العقدي **مطلب 2**: مشروع حسن حنفي.

المبحث الثاني: تجاوز المصطلحات والمفاهيم العقدية:

مطلب 1: تجاوز المصطلحات العقدية. **مطلب 2**: تجاوز المفاهيم العقدية.

المبحث الثالث: تفكيك التجاوز العقدي

مطلب 1: تفكيك التجاوز العقدي. **مطلب 2**: بناء البديل المرجعي.

الخاتمة.

المبحث الأول: توضيح مفاتيح الدراسة.

المطلب الأول: ملامح التجاوز العقدي

الفرع الأول: ملامح التجاوز.

لغة الملامح: ما بدا من محاسن الوجه أو مساويه. والملامح: المشابه[1]

اصطلاحا: وما يظهر من علامات وأوصاف، ظهرت ملامح الغضب على وجهه.

التجاوز: تجاوز الموضع: تجاوزه. تجاوز القانون: خالفه، خرج عليه ولم يتقيد به. تجاوز الحدود: خرج على الأعراف والتقاليد. [2]

الفرع الثاني: العقدي (من العقيدة):

لغة: العقد: العهد، والعقد نقيض الحل. والعقيدة: (في الحكم) الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقديه. والعقيدة:(في الدين) ما يقصد به الاعتقاد، كعقيدة وجود الله، وهي راسخة لا يحيد عنها، جمعها عقائد[3].

---

[1]. معجم المعاني الجامع.

[2]. نفس المصدر.

[3] مجمع المعاني الجامع

اصطلاحا: هو الإيمان واليقين والجزم وهو اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل الشك أو الظن، فالعلم الذي لم يصل بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة.[1]

والعقيدة في الإسلام هي كل لا يتجزأ وكل من كفر بواحدة منها أو بجزئية منها مما ثبت في القرآن الكريم أو في السنة النبوية لا يقبل إيمانه بالأركان الأخرى.

المطلب الثاني: مشروع حسن حنفي

فرع الأول: مشروع .

لغة: جمع: مشروعات ومشاريع. مفعول من شرع عمل مشروع: عمل مسوّغ، أي ما سوغه الشرع حضّر مشروعا جديدا، ما يحضر في مجال من المجالات ويقدم في صورة ما أو خطة ليدرس ويقرر في أفق تنفيذه.

اصطلاحا: المشروع سيكولوجيا وتربويا، هو الذي يتبناه الفرد ويتقبله نفسيا وجدانيا ويربطه بمنظور مستقبلي أوسع (مشروع حياة).

الفرع الثاني: حسن حنفي.

جاء ميلاد المفكر المصري حسن حنفي بتاريخ 23 فبراير عام 1935وهو الآن يبلغ من العمر 82 عام، ينتمي إلى كل من تيار اليسار الإسلامي وتيار علم الاستغراب، الآن يعمل الدكتور حسن حنفي في الجامعة فهو واحد من أهم أساتذة الجامعة.

مسيرة الدكتور حسن حنفي العلمية: بدأ حسن حنفي بالالتحاق بمهنة التدريس في العديد من الجامعات حتى تولى وظيفة رئيس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة ، اثناء

[1] محمد عوض الهزايمة، محمد أحمد الخطيب، دراسات في العقيدة الإسلامية، (ص17) (ط10، 2005)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن.

ممارسته مهنة التدريس بالجامعة كان يقوم بممارسة هواية التأليف والكتابة فقام بكتابة الكثير من المؤلفات في مجال فكر الحضارة العربية الإسلامية، قرر الدكتور حسن حنفي ان يستكمل تعليمه ويقوم بتحضير رسالة الدكتوراه وبالفعل حصل على درجة الدكتوراه في قسم الفلسفة من جامعة السوربون أما عن رسالة الدكتوراه فكانت بعنوان ''تأويل الظاهريات'' استغرق في تحضير هذه الرسالة ما يقارب من 10 سنوات، بداية من عام 1985ميلاديا وحتى عام 1987 ميلاديا تولى منصب مستشار علمي في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو، من بين المناصب التي تتولها ايضا منصب نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية.

الوظائف التي تولها حسن حنفي: بالنسبة لاهم الوظائف التي تولها الدكتور حسن حنفي فهي '' بداية من عام 1967 ميلاديا وحتى عام 1973 ميلاديا تولى وظيفة مدرس فلسفة في جامعة القاهرة بكلية الآداب، في عام 1973 ميلاديا اصبح أستاذ مساعد فلسفة بكلية الآداب في نفس الجامعة وظل بها حتى عام 1980 ميلاديا واخذ يتدرج في المناصب حتى اصبح أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بداية من عام 1981 وحتى عام 1995ميلاديا ، تولى ايضا وظيفة أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بفاس بالمغرب ، وصل أيضا الى درجة رئيس قسم الفلسفة و أستاذ متفرغ كلية الآداب وهي وظيفته الى الان.

أهم أعماله و مؤلفاته:أبرز واهم اعماله (التراث والتجديد،من العقيدة إلى الثورة ، حوار الأجيال ، من النقل إلى الإبداع ، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، مقدمة في علم الاستغراب ، فيشته فيلسوف المقاومة ، في فكرنا المعاصر ، في الفكر الغربي المعاصر ، حوار المشرق والمغرب)[1]

[1]. https://www.almrsal.com/post/456459 13:30 13/سبتمبر /2018.

المبحث الثاني : تجاوز المصطلحات و المفاهيم العقدية

المطلب الأول: تجاوز المصطلحات العقدية

لقد شهدت ساحتنا الفكرية الراهنة حربا في المصطلح، ذلك الذي تنبه له الغرب في وقت مبكر دأبا على تغيير وتحريف مصطلحات، وليدة بيئتنا الفكرية الداخلية، حيث كان الهجوم بوتيرة متسارعة لمصطلحات بديلة من أصول غريبة عن ثقافتنا، تسعى إلى تكريس الموضوع والمنهج والغاية، حسب ما يناسب فلسفتهم الدخيلة لتلقي بركامها علينا، وما نكاد نتبين حمولتها الفكرية حتى نجدها قد سرت في معتقداتنا ومصيرنا الثقافي سريان النار في الهشيم.

يقول الدكتور المهدي المنجرة: (هناك في فرنسا من يقول بأن الحروب القادمة ستكون من طبيعة سيميائية، إن فرض المفاهيم واللغة وتحدياتها هي بكل تأكيد الوسيلة الأكثر فعالية لبسط السيطرة على العالم لذا يجب تصور آليات للدفاع الذاتي لحماية النفس من هذه الحملات السيميائية)[1].

و ممن عمل جاهدا على تفعيل هذه الرؤية المفكر حسن حنفي حيث كان جوهر مشروعه تخطي المصطلحات الأصلية بغض النظرعن قدسيتها و لا وزنها المرجعي، متأثرا و موظفا للمناهج التفكيكية لممارسة التجاوز الإصطلاحي خاصة على المصطلح العقدي، حيث يقول في ذلك (إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم و التي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها و دلالتها، والتي تمنع أيضا إعادة فهمها وتطويرها، (ليسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ و المصطلحات الدينية مثل : الله

[1] المهدي المنجرة، عولمة العولمة، كتاب الحبيب رقم 18 سبتمبر 2000، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء.

الرسول ، الدين ، النار ، الثواب)[1] ...هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقا لمتطلبات العصر، نظرا لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها ، و مهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الاصطلاحي الجديد،و من ثم أصبحت اللغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير)[2].

الفرع الأول: لفظ الجلالة {الله}

وقد جعل لها حسن حنفي مرادفات عديدة كالذات المشخصة والكائن المشخص، والوعي الخالص، محاولة منه إضفاء المادية على الله عز وجل ليستسيغه العقل المادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، ويقول في ذلك متحدثا عن مادية الوحي: (فهو موضوع مادي وليس صفة مطلقة لذات مشخصة)[3].

1-الذات المشخصة أو الكائن المشخص:

يضيف موضحا الشخصنة المضفاة على الذات الإلهية قائلا: (فذات الله هو ذاتنا مدفوعا إلى الحد الأقصى، و مثلنا بعد أن شخصناها ماثلة أمام الأعين)[4]، ويواصل وصف الذات الإلاهية، (فالله مدحض الأباطيل، وكاشف الحق، ودافع الباطل، و معطي العلم، وواهب المعرفة، والمبرهن والمستدل والمنير للطريق ..ولكن هذه المعطيات المسبقة تنبع من طبيعة العقل، ويدركها الشعور بحدسه، وليست فعلا لكائن خارجي مشخص.. ولا يمكن التسليم بشيئ على أنه حق مالم يعرض على

[1] التراث والتجديد في فكر حسن، مصطفى السباعي، http://www.ilmway.com

[2]. حسن حنفي، التراث والتجديد، ص110

[3]حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة (ص 86 ج 1 مقدمات نظرية)، (ط 1 1988)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان

[4]حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، (ص83، ج1)

العقل ويثبت في الواقع أنه كذلك)[1]

2-الحرية والعقل والطبيعة:

ثم يذهب حسن حنفي مذهبا آخر مغايرا تماما في إطلاق مسميات على الله عزو جل، يتجلى فيها انعكاس النفسية الغاضبة على التراث وعلى المعاني الحقيقية للأسماء والصفات الإلهية ويقول في ذلك :(فالله من أسمائه هو الحرية تعبير عن حاجاتنا إلى التحرر وهو التقدم والعقل والطبيعة والإنسان والوحدة،التاريخ و المساواة و العدالة، مادام كل لفظ يعبرعن حاجة دفينة لجيلنا، فالأسماء القديمة انما تكشف عن الموقف الديني للعالم أي اغتراب الانسان)[2]

3-الإنسان الكامل:

لم يكتفي حسن حنفي بإطلاقاته المادية على الذات الإلهية بل تعدى إلى تصييره إنسانا كاملا بتشبيه مطلق وجرأة عميقة عندما يقول: (إن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الأنسان الكامل، فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا إنسان مكبر في أقصى حدوده)[3]

4- **الوعي الخالص**: وهي من المسميات التي افردها حسن حنفي لله عز وجل إلا أنه قد قام بإشراك الخالق مع المخلوق في هذا المسمى (بعد الإنتقال من العالم كما عرضته نظرية الوجود وتم اكتشاف الطبيعة والإنسان كبعدين رئيسيين فيه يبدأ السؤال حول الذات أي الوعي الخالص سواء كان وعي الطبيعة أم وعي الإنسان أم وعيا مفارقا لما انتهت نظرية الوجود إلى إثبات المفارقات)[4]

---

[1]نفس المصدر، (ص8، ج1)

[2]نفس المصدر، (ص509، ج2)

[3]حسن حنفي، التراث والتجديد، (ص122)

[4]المصدر السابق، (ص226، ج2)

هكذا كانت تعبيرات حسن حنفي عن اسم الله الأعظم ممثلا للتجسيد الكامل للتجاوز العقدي فيما يخص تسميات لله عز وجل، مخترقا بذلك هالة القداسة وحرمة الألوهية.

الفرع الثاني: تشخيص الرسول صلى الله عليه وسلم

يعد مبدأ النبوة ثاني أهم المبادئ و الأساسيات العقدية الثلاثة بعد الألوهية و قبل السمعيات، فالنبوة بالضرورة ليست حادثة مكتسبة يمكن للنبي أن يكتسبها بإجتهاده أو ذكائه أو بلاغته، و إنما هي إختيار و اصطفاء من الله تعالى لأحد من خلقه، إلا أن مكانة النبي صلى الله عليه و سلم و قداسته و حرمته قد تدنت عند حسن حنفي رغم اعتبار نفسه لا من الغلاة و لا من الجفاة، لكن الانعكاس الماركسي ، الهوسرلي[1] ، في تحليلاته لحقائق الدين، و ذلك من خلال الإرهاصات الكثيرة، قد شجعت النقد الجريئ في شخصه صلى الله عليه و سلم،يقول: (هناك مسار طبيعي في التشخيص من الإنسان العادي إلى الشخص المقدس ، من الرسول إلى صاحب الرسالة ، ومبلغها إلى الرسول الإلهي .. من الرسول العادي ابن المرأة التي كانت تأكل القديد. يأكل الطعام ويمشي في الأسواق إلى الرسول الذي يضارع عيسى في ميلاده، وموسى في معجزاته)[2]

ويستأنف وصفه لشخصه صلى الله عليه وسلم (وكان الرسول دائما يقول (الله ورسوله) في عطف واحد ويكفي تسميته الرسول لأن " رسول الله" تجعله باستمرار

[1] الهوسرلية نسبة إلى هوسرلي رائد نظرية الفيومينولوجيا (الظاهرية) وهي جهد موظف لوصف الظواهر كما تبدى لنا من خلال وعينا بها وبذلك يصبح الوعي وسيلة وهدفا للفيومينولوجيا

[2] حسن حنفي من النقل إلى العقل (ص 579، ج 3) علم السيرة من الرسول إلى الرسالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة

مقرونا بالتأليه وهو مما يساعده على التشخيص: وهو خطوة نحو "ابن الله" كما حدث في المسيحية) [1]

إن هذا الوصف التراجيدي لنبينا صلى الله عليه وسلم، لجريرة عظيمة في حق الإسلام، مما يعانيه حسن حنفي من مراهقة فكرية أفرزت في كتاباته روحا صارخة بإعادة البرمجة التأصيلية لدين كامل ألا وهو "الإسلام". أليس ذلك تمثيلا تطبيقيا لأزلام الفكر العلماني، بوعي منفصل تماما عن البنية الاجتماعية، غريب عن مجالنا التداولي.

الفرع الثالث: السمعيات:

إن القصور في فهم عالم الغيب اعتمادا على العقل، جعل الخطاب الحداثي يؤول الغيب ويسقطه على حياة الإنسان المعاشة، وجاء وفق مفهومه (تصورات مخالفة ومنكرة لما أخبر به الوحي القرآني من أمور غيبية لا يستطيع العقل الوصول إليها)[2]. فكان لها نصيب من الإزاحة التي استخدمها حسن حنفي بحيث تقود إلى التعميم و المصادرة، إعتمادا طبعا على الفوضى التأويلية، و أشكلة العلاقة بين النص و لغته، إقصاءا للسنة في هذه الجزئية فـ(أمور المعاد كجزء من السمعيات مضادة لأصول التوحيد.. ومعظم هذه السمعيات آتية من السنة والسنة من القرآن مما يوحي بأنها فرعية لا أصلية)[3] وآل مصطلح البعث في أدبيات حسن حنفي إلى معنى آخر لا يلتقي مع الأصل لا أفقيا ولا عموديا فـ(لا يكون البعث واقعة مادية تتحرك فيها الجبال، وتموج فيها البحار وتخرج لها الأجساد بل يكون البعث هو بعث الحزب، وبعث الأمة،

[1] المصدر السابق (ص 599)

[2] محمد سالم النعيمي القراءة الحداثية للنص القرآني وأثرها في قضايا العقيدة (ص 259)، (ط 1، 2016م)، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة

[3] حسن حنفي من العقيدة إلى الثورة (ص 424، ج 4 (النبوة المعاد)) مصدر سابق

وبعث الروح)[1]

أما عن الموت وعذاب القبر فيستمر حسن حنفي بأسلوب سطحي، فضفاض، مقارنة بصعوبة الموقف وهول الواقع قائلا (البعث استمرار الحياة) [2]وأن الموت ما هو إلا حالة عارضة[3]

و أما عذاب القبر فلا وجود له بعد الموت، إنما هو موجود في حياتنا الحاضرة (عذاب القبر إذن تصور شعبي للظلام و الهواء الراكد الساكن ، و الرائحة العفنة و الوحدة و العزلة و الوحشة، و يعبر عن تجربة إنسانية فعلية في الشاهد يسقطها الإنسان على الغائب)[4] و نختم هذه الجزئية بتلخيص عام يخص الغيبيات التي جعلها حسن حنفي لا تنفك عن كونها مجازيات تحتاج إلى تأويل (الميزان و الصراط و الأعراف و الحوض و منكر ونكير و كل ما أطلق عليه القدماء السمعيات لا تشيرإلى حس ومشاهدة إلا عن طريق تأويل معاني الألفاظ واستعارة الألفاظ الحسية للدلالة بها على معان إنسانية)[5]

المطلب الثاني: تجاوز المفاهيم العقدية

أكثر ما ركز عليه حسن حنفي في مشروعه، هو إعادة بناء العلوم العقلية كأصول الدين، معلنا ثورة فكرية، أساسها الانقلاب على تصوراتنا الدينية، وهي المقدمة الحتمية لثورة واقعية، أي قلب المضامين اللاهوتية لعلوم الدين إلى مضمون اجتماعي ثوري، إلا أن منطلقات المخطط الثوري خاصته، خاضع لبعث وتمحيص وتكريس

[1] المصدر السابق (ص 508)
[2] نفس المصدر (ص 508)
[1] حسن حنفي، التراث والتجديد (ص 121)، مصدر سابق
[2] من العقيدة إلى الثورة، ص83، ج1
[3] المصدر نفسه، ص84، ج1

التفكيك الممنهج مسبقا على منطلقات فلسفية تفكيكية غربية، لأجل زحزحة المعتقد الإسلامي الراسخ منذ قرون ومحاولة التشكيك في المسلمات المغروسة في الأفئدة.

الفرع الأول: محاولة زحزحة مبدأ الألوهية

أ – أحكام الذات: لقد كان للانسلاخ الغربي من الفكر الديني القروسطي، الأثر البالغ في فكر حسن حنفي الناقل و الناسخ للمبادئ المادية المجسدة للألوهية بإرهاصات فلسفية دقيقة بدأت منذ كتاباته الأولى و هو تلميذ تحت وطأة أساتذته، رواد الفلسفة الغربية، مستلهما فكرة حركة الإصلاح الديني التي أطلقها مارتن لوثر في ألمانيا، إلا أن حسن حنفي قد أخطأ تحديد المنطلق في تضادات مطلقة لم يستطع بعد ذلك في الجمع بينها و لا تمحيصها خاصة محاولته في إلغاء فكرة الله (عز وجل) (وإذا كان من مآسينا المعاصرة غياب البعد التاريخي من وجداننا المعاصر فإن ذلك يرجع إلى ظهور (الله) كبعد رئيسي إن لم يكن البعد الأوحد كما هو الحال في تراثنا القديم)[1]

إن الصياغة المادية التي غلبت على عقل الأستاذ حنفي، صار إقصاء الغيبي اللامحسوس ضرورة في منهجه لتكييفه والطرح التجديدي حتى مع الباري تعالى (و التفكير في الله كموضوع خاص في المجتمعات النامية إغتراب، بمعنى الموقف الطبيعي للإنسان هو التفكير في المجتمع و في العالم، و كل حديث آخر في موضوع يتجاوز المجتمع و العالم يكون تعمية تدل على نقص في الوعي بالواقع... و الحديث عن الله نقص في الوعي بالواقع) هذا وبعد جرأته لتصيير فكرة إلغاء الله من الواقع صوابا، تجاوزالحدود المحضورة من تشبيه وقياس ونفي لصفات الله تعالى (ليس للإنسان إذن، إذا ما أراد الحديث عن "ذات الله" إلا التشبيه و القياس، التشبيه بنفسه و القياس على العالم، و إثبات أوصاف الإنسان كصفات ثبوتية لله، و نفي أوصاف

1

الإنسان السلبية كصفات سلوبية عن الله، و بالتالي يكون كل حديث عن الله هو حديث عن الإنسان، و يتوهم الإنسان أنه حديث عن الله في حيث أنه يتحدث عن نفسه)[2]

يبالغ حسن حنفي في التجرد من الإيمان بالله تعالى ووجوده، بعبارات تدعو إلى التمعن في عمق التناقض لدى هذا الفيلسوف بحيث نلتمس فيه قمة الإجتهاد لإختيار المصطلحات الناقدة لصميم الإيمان والإعتقاد (الحديث عن ذات الله إذن خطأ آخر في نظرية السلوك الفردي الإنساني أولا والاجتماعي التاريخي ثانيا، فتصور الله على أنه موجود كامل هو في الحقيقة تعبير عن رغبة، وتحقيق لمطلب...، وليس حكما على وجود في الخارج)[2]

ب-أحكام الصفات:

نستمر مع التناقضات، حيث يفصل حسن حنفي في صفات الذات التي ألغى و جودها مسبقا، وأولها على أنها ليست إلا تعبير عن رغبة أو تحقيق لمطلب، أو تحقيق لهدف، فكيف له بإثبات صفاتها؟.

بعد اعتباره للذات بأنها الوعي الخالص، يجعل صفاتها هي الوعي المتعين أو الشخصية الإنسانية التي تجلت فيها صفات الوعي الخالص (بعد الوعي الخالص وهو الذات التي تتسم بأوصاف ست: الوجود، العدم...، ينتشر هذا الوعي خارجه ويتحقق درجة أكثر ويصبح الوعي المتعين أو الشخصية الإنسانية، ويتصف بصفات سبع: العلم، القدرة، الحياة، السمع، البصر، الكلام والإرادة)[3]

[2] نفس المصدر (ص 83 ، ج1)
[2] نفس المصدر (ص 83 ، ج1)
[3] نفس المصدر (ص 313، ج2)

و دفاعا منه على نفاة الصفات يقول (و إلى هذا الحد يتهم نافي الصفات بالزندقة و الكفر كتهمة سياسة، كما يتهم بالتعطيل كتهمة فكرية مع أن النفي ليس تعطيلا بل إبعاد للتشبيه، دفاعا على التنزيه سواء كان التعطيل في الصفات بالنفي أم التعطيل في النصوص بالتأويل..و لا يرجع نفي الصفات إلى أية مؤثرات لفظية دخيلة بل يخضع لضرورة عملية داخلية دفاعا عن التوحيد العقلي في صورة التنزيه)[4]، إن التضاد الذي أوقعه حسن حنفي في الصفات بين إثبات و نفي و تشبيه و تنزيه من أكبر الجرائم التي ارتكبها في ثورته.

الفرع الثاني: الإنكار الحنفي للنبوة

تسعى الحداثة عامة و فيلسوفنا بصفة خاصة إلى إنكار النبوة القائم على قطع العلاقة (العمودية) للإنسان، أي تلك العلاقة بين الإنسان و السماء (الله عز و جل) و تحويل المعرفة إلى محور (أفقي) منطلقا من الإنسان و إلى الإنسان ليؤكد أن لا مصدر خارجي للمعرفة إلا ما يعرف الإنسان وحده ومن عالمه الواقعي إذ(إن القول باستحالة النبوة هو رد فعل طبيعي على القول بوجوبها فكلاهما طرفا نقيض، إثبات و نفي، و جوب و إستحالة فبينما يقوم الوجوب على هدم العقل والعلم والإجتماع والسياسة والقانون، تقوم الإستحالة على تأكيد العقل و العلم، وعلى الإعتراف بقدرات الإنسان النظرية والعلمية على تأسيس العلوم الاجتماعية)[1].

إن إخضاع العقائد والمرجعيات لقياس العقل، الذي يعتبرونه المصدر الوحيد للمعرفة، و لا معرفة غير التي يثبتها العقل حيث (تقوم الإستحالة العقلية على اكتفاء العقل دون ما حاجة إلى مصدر آخر للمعرفة، فالمعرفة مصدرها واحد و هو العقل،

[4] نفس المصدر (ص 324، ج1)
[1] من العقيدة إلى الثورة (ص 38، ج4)

ففي العقل الكفاية لكل أنواع المعارف و من ثم تستحيل النبوة ... فما حسنه العقل يفعل و ما قبحه العقل يترك... فالعقل و الطبيعة هما أساس الحكم على أشياء)[1]

هذا الذي لا يستطيع الخطاب الحداثي تجاوزه إنه الخطأ في المنهج باعتماده على التفسير المادي للحوادث الكونية، بمعنى إنكارأن يكون هناك تفسير يقف وراء قوانين الطبيعة، وهذا إنكار لقدرة الإرادة الإلهية في التدخل في الكون

الفرع الثالث: تجاوز الغيبيات

يترتب ضرورة عن إنكار النبوة وعدم الإيمان بكل ما جاء به الوحي من إجابات عن اليوم الآخر، إنكار لكل مشاهد ذلك اليوم وأحداثه، ويعيش الفكر الحداثي فراغا معرفيا بهذا الخصوص نظرا لقصور أدواته المتعلقة بالسمعيات، وكذا عدم التناسب بين آليات فقه الغيب ومصادره (قرآن وسنة) وبين المنهج العقلي المادي فأصبحت (أمور المعاد في نهاية الأمر ماهي إلا تعبير عن العالم بالتمني عندما يعجز الإنسان عن عيشه بالفعل في عالم يحكمه القانون ويسوده العدل ... أمور المعاد في أحسن الأحوال تصوير غني يقوم به الخيال تعويضا عن حرمان في الخبز والحرية ...)[2]

وحتى يبلغوا مفاهيمهم الغامضة إلى القارئ، والإستحواذ على نفسيته بالعقلانية اللامتناهية، تصوروا أن عالم الغيب (لم يعد غائبا عن عيون الناس، بل صار اسمه المستقبل وصار يوسع الناس أن يعرفوا مستقبلهم سلفا بقليل من المنطق وعلم

[2] نفس المصدر (ص 42)

[1] من العقيدة إلى الثورة (ص 600 ، ج 4)

الحساب، كذلك لم يعد علم الغيب خارجا عن سنن الطبيعة، بل صار طبيعيا، وصار قابلا للتفسير العلمي)[1]

وبالجملة فإن الغيبيات التي ذكرها القرآن الكريم، لا يمكن التحقق منها، ويمكن تأويلها إلى معان عقلية طبيعية، لأنها ليست لا مادية ولا محسوسة تبعا للتصور الحداثي فـ (كل ما أطلق عليه العلماء القدماء السمعيات لا تشير إلى حس ومشاهدة، إلا عن طريق تأويل معاني الألفاظ واستعارة الألفاظ الحسية للدلالية بها على معان إنسانية)[2]

خلاصة القول أن حسن حنفي قد تجند بكل آليات الفلسفات الوضعية، و تشبع بكل قواعدها لتأسيس مشروعه و الثورة على العقيدة والشريعة والاخلاق و ذلك بالتخلي عن اللغة المغلقة و الدعوة إلى لغة أكثر عقلانية فـ (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة عن إله، رسول، ثواب و عقاب، ملاك و شيطان، و هي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، و استعمال لغة أكثر عقلانية و انفتاحا و إنسانية... فنحن الآن قد رجعنا خطوة إلى الوراء و ألغينا التطور، و آثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح)[3]

المبحث الثالث: تفكيك التجاوز العقدي مع أطروحة الأصالة والمعاصرة

مطلب الأول: تفكيك التجاوز العقدي

الناس أعداء ما جهلوا، هذا ما تمثله الفيلسوف المصري، فتجاهله بقدسية المقدس، أجاز له إعلان العداء عليه، وذلكليس لمن يدعي التجديد و يحسب نفسه من مجددي الإسلام أن يثور على مقدساته؟

---

[1] الصادق النيهوم : الاسلام في الأمر (ص 81) (ط 3 ، 1995 م)، رياض الريس للكتب و النشر لندن – قبرص.

[2] حسن حنفي التراث و التجديد ، (ص 121)

[3] نفس المصدر (ص 157)

نبدأ التحليل،و يلحقه التفكيك تلازميا، فكلما أقصيت شكا إلا و كرست حقا، و هذه هي هندسة الفيلسوف المصري و منهجه في نقد الموروث إنطلاقا، ثم المقدس وصولا، متبعا في ذلك قاعدة التخلية و التحلية، و هذا بالمسح الشامل لجل كتاباته إن لم نقل كلها، فقد رسم مخططه بوضع أفكار رئيسية و هي محاور المشروع أو لنقل جبهات المشروع، للصراع الواقع في كل جبهة، وتوظيف مكثف للآليات والمناهج والنضريات تمثلت في: أ-جبهة التراث العربي الإسلامي.

ب-جبهة التراث الغربي.

ج-جبهة الواقع بأبعادها الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والثقافية والفكرية والفلسفية.

إلا أنه صراع غير متكافئ القوى ولا العداء. ماذا بعد تعيين الجبهات؟

إن ممارسة الإنتقائية، وطغيان التلفيق الفكري من السمات البارزة في مدونات حسن حنفي – نحصر الدراسة على الجانب العقدي – فبعد التأسيس للتفكيك من النقل إلى العقل: قسم سلسلته إلى خمسة أجزاء:

1. من الحامل إلى المحمول. خاص بعلوم القرآن
2. من نقد السند إلى نقد المتن بعلوم القرآن
3. من الرسول إلى الرسالة. خاص بعلوم السيرة
4. من التفسير الكولي إلى التفسير الموضوعي. خاص بعلوم التفسير
5. من العبادات إلى المعاملات. خاص بعلوم القرآن

إن عنونته لهذه السلسلة بـ : من النقل إلى العقل إن دل فإن يدل على أن حسن حنفي يدعو دعوة صريحة إلى تسليم القيادة للعقل فيما كان للنقل فيه سلطة، هذا ما يعيدنا إلى التوزيع التلفيقي للجبهات فالحقيقة أنه لا يصارعها أو يثور عليها كلها إنما ركز على

التراث الغربي مرجعية و منبعا و متنفسا، و أما جبهة الواقع فهي موضوع الدراسة و إشكالية التغيير، و بؤرة الصراع، و اتخذ من الجبهة الثالثة و هي التراث العربي الإسلامي، الطرف المقابل في ساحة المعركة الذي أعد له حسن حنفي كل ما وفرته له الثقافة الأم (خليط الفلسفات الغربية)

قد رسم حسن حنفي مخططه التجديدي واضعا الأهداف قبل المقدمات و المتمثلة طبعا في إسقاط قمة الهرم (العقيدة)، و قد انتهج مسارا تصاعديا بدءا بباقي العلوم الشرعية و تصعيدا في التفكيك وتضخيما للأنا الجريئة، تركيزا على التأصيل المادي لتوظيف الآلية الفينومينولوجية للطرح الجديد، مدعما لأصول أربعة يعدها حسن حنفي من الحتمية المعرفية التي يجب تفعيلها في دراسة أي موضوع فكري مهما كانت طبيعة وهي:

- المادية الماركسية (marxismematerialisme)[1]
- الإيتيقاالسبينوزية (شمول الألوهية) (Spinosic Ethical[2]
- الإغتراب الديني الفيورباخي (Religions Alienation thefubakhi) [3]
- الضاهراتيةالهوسرلية (Theoretical phenomenon) [4]

[1]الماركسية : الدين أفيون الشعوب ، لا إلة و الحياة مادة ، الدين هو الوعي الزائف الذي أوقع الناس في الإغتراب و البقاء في وضع مقلوب.

[2]الانثيقا : هي النقيض الفلسفي المباشر للدين و لأخلاق الدين ، و شمول الألوهية عند سبينوزا تعني أن الله و العالم واحد.

[3]الإغتراب الديني الفيورباخي : هاجم فيورباخ الأسس المفاهيميةللاهوت و أراد تقويض الدين بواسطة إستحداث دين جديد للإنسانية عن طريق إعادة توجيه الهموم البشرية من عمودية إلى أفقية و ذلك بتدمير جميع الإلتزامات الدينية و تشجيع الكراهية الشديدة اتجاه الله.

[4]الظاهراتيةالهوسرلية : هي العلم الذي يدرس خبرة الأشياء بخطوات ثلاث : تعليق الحكم ، البناء و الإيضاح .

●الفلسفة الروحية المطلقة لهجيل:

[1](The absolute spiritual philosophy of heagel)

1- **نقد التوظيف الماركسي**: المبني على الرؤية المادية للأشياء التي تؤمن إلا بالمحسوس و قد وظفه حسن حنفي لإلغاء كل ما يغيب عن الحس و الملموس، ويليق النقد أكثر عندما يكون المنقودهو مسلم عربي ولد وترعع في بيئة إسلامية، دارس للثقافة الإسلامية و هو يدعي الإسلام بل و الايمان فأول أركان الإسلام {شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله} و أول أركان الإيمان {الإيمان بالله}، لكنه كرس فكرة لاهوت الثورة و الأرض و التحرير و خامسها {الإيمان باليوم الآخر} ، و هو الغيب الذي لا يدرك الحس و لا اللمس، و هنا بالتالي فماديتك يا حسن حنفي قد أنفت عنك إيمانك لأنك لم تحقق الإيمان بأركانها إنما حققت الإيمان المادي و سعيت لترسيخه .

2- **نقد التوظيف الإيتيفي السبينوزي**: الذي يدعو إلى ترك التصور التقليدي للدين و السعي نحو أفق العقلنة –(ولعل أعظم ما أسهم به سبينوزا في الفلسفة فصل العقل عن النقل، واستبعاد كل التفسيرات الغيبية عن التفكير الفلسفي)[2]. وهو المذهب المادي الصرف الذي لا يسلم بشيئ من النزعات الروحية أو الدينية، فكل الموجودات متساوية من حيث الإعتبار المنطقي و الأخلاقي عند سينوزا فلا وجود لموجود أسمى أو أعلى قياسا (الجوهر المطلق الواحد ، المحدث لذاته وصفاته الذي هو الله، أو الطبيعة)[3] فعلا أنه تمحيص حرفي و تطبيق دقيق لنظرية سبينوزا،

[1] فلسفة هيجل : النمو من خلال التناقضات ، بحيث أن المظاهر هي وحدها التي تتغير فالصراع بين المتضادات الذي يؤدي بدوره إلى تحول الشيئ إلى شيئ آخر ينمو فيه التناقض

[2] مراجعة نقدية في فكر الدكتور حسن حنفي، جميل قاسم، http://www.ebn-khaldoun.com

[3] إسبينوزا ، رسالة في اللاهوت و السياسة ، ترجمة و تقديم حسن حنفي (ص 12) (ط1 2005 م) ، دار التجديد للطباعة و النشر بيروت

خاصة و أنه مترجم رسالته، فقد بدأ الفصل الأول بصفة التقديس و التأليه المتعاليين للإله حتى أن قارؤه يحس بالإيمان الخالص لسبينوزا، و لكن في فصوله الأخيرة يعلن إنقلابه و تبدأ التناقضات ،كالفصل الخامس عشر الذي عنونه بـ اللاهوت ليس خادما للعقل، وأن العقل ليس خادما للاهوت، هذا ما حقق لحسن حنفي هدفه في الإنفصال الفعلي بين الإلهيات و العقل، لهذا كان كتابه من العقيدة إلى الثورة هو صورة مشابهة إلى حد بعيد خاصة في عناوينه الرئيسية لرسالة سبينوزا، وهذا منهج فيلسوف غربي ثائر على النظام الكنسي القروسطي، باحث عن أي زاوية من شأنها تحطيم هالة الكنيسة، لكن ذلك لا يستقيم مع مجدد الإسلام الذي يسعى لترسيخ المرجعية و القيام بالأمة نحو الأفضل، بل إن تأثره العميق بفكر إسبينوزا جعله يتمثل قاعدته ويجسدها في الساحة الإسلامية، متجاهلا الشخصية المحافظة عند المسلمين، و خاصة عند تصريحه بتطبيق منهج سبينوزا في نقد الكتب المقدسة على القرآن الكريم و ذلك لعدم إيمانه أن الله تعالى قد تكفل بحفظه،و اعتبر ذلك نوع من الغلو و التهرب من النقد قائلا (يغالي البعض و أكثر اللاهوتيين المحافضين ويدعون أن الله قد حفظ كتابه من التغيير و التبديل، و أن العناية الإلهية هي الحافظة للنصوص، و من ثم فلا داعي هناك لتطبيق قواعد المنهج التاريخي على النصوص الدينية، و إقامة نقد تاريخي للكتب المقدسة{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩}[سورة الحجر،٩]، وهي نظرية صرفة تهرب من النقد و تلجأ للسلطة الإلهية) [1]
قال تعالى { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥} [سورة البقرة،٨٥] .هذا هو الرد من الله تعالى على المنافقين.

[1] رسالة في اللاهوت ، مصدر سابق (ص 22)

3- نقد التوظيف الفيورباخي: و أساسها الإغتراب الديني، (لقد أصرالفيلسوف حسن حنفي إلا أن يكون فيورباخيا..بجلو جوهر المسيحية في أن الإنسان هو الله والله هو الإنسان)[1] و الذي طبقه حسن حنفي على الدين كله دون محاشاة الثوابت من وجود الله و صفاته و النبوة و اليوم الآخر نظرا لعدم استجابة الدين بهيأته و أحكامه و علومه لشروط الفيلسوف المصري و اعتباره قاصرا على العصرنة و استيعاب العقل، يقول : (و من ثم يجعل علم الكلام موقف الإنسان في العالم موقفا مغتربا...)[2]، و أما (والبعض الآخريوحي بالعقل العملي والعقل العملي..وقد حاول فيورباخ القضاء على هذا الإغتراب بتحويل الثيولوجيا إلى أنثربولوجيا والعودة بصفات الله إلى صفات الإنسان)[3]، إن مصطلح الإغتراب يكفي بالمرء فهما ويقينا من دساسة هذا المفكر ومن عمله الدؤوب لتضليل العقول و تشويه العلوم الشرعية و العقيدة خاصة، قال تعالى: { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ }[سورة طه،١٢٥-١٢٦]

نقد التوظيف الهيجلي : يتعامل حسن حنفي مع العقيدة الاسلامية باعتبارها المخزون النفسي لدى الجماهير، الذي يعتبره قالبا لمضمون إلهي في مضمون آخر إنساني تحرري، أو أنسنة اللاهوت، لكن ليست بالفينومينولوجيا الهوسرلية، إنما هذه فينومينولوجيا هيجلية فيورباخية ،فالأولى تتأسس على حفظ أصالة التراث، أما الثانية فهي التي تدعو إلى ملأ أنماط الوعي هذه بدلالات ثورية تحررية، و نقل الدلالة اللاهوتية إلى إنسانية و قد ترجمها حنفي و صاغها لتناسب هدمه، بالسلبية التي تنتهي إليها النفس البشرية لعجزها عن إدراك الكائن المطلق، إذن يجب تحولها من الإستسلام

[1] فلسفة حسن حنفي، مقاربة تحليلية نقدية، مصطفى النشار، ص95، فيرس تبوك للنشر والتوزيع.
[2] من العقيدة إلى الثورة (ص 561، ج 2)
[3] الهوية، حسن حنفي، ص44،43، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

للسلطان الإلهي إلى الإستسلام للسلطان الدنيوي التحرري يقول (معرفة الحق و الباطل، الصواب و الخطأ... تنبع من طبيعة العقل و يدركها الشعور بحدسه، و ليست فعل لكائن خارجي مشخص، و لا يمكن التسليم بشيئ على أنه حق مالم يعرض على العقل و يثبت في الواقع أنه كذلك) [1]

في ختام المبحث نجد حسن الحنفي في كثير من الأحيان يختص بطريقة تعبيرية منتفخة انتفاخا مزيفا يحاول استيعاب كل ما فهمه من نظريات غايتها التفكيك، فكما حوت اوروبا نظريات مضادة للدين فقد عاصرت أيضا الكثير من الموالين للدين سواء مع الكنيسة أو ضدها، لكنه كان معاديا لها، فهل لمن اراد التجديد أن يحافظ على القديم مع نفظ للغبار نحو الجديد، أم انه كسر وهدم وبعدها إقصاء إلغاء...؟.

المطلب الثاني: أطروحة الأصالة و المعاصرة في مشروع حسن حنفي:

تعتبر الأصالة والمعاصرة المحور الرئيسي الذي بنيت عليه أطروحة الأستاذ حسن حنفي، هذه الثنائية المرادفة لثنائيات عديدة، أحدثت توترا في الساحة العربي، كالرجعية والتقدمية، التقليد و التجديد، الأنا والآخر، التراث والحداثة، هذه التسميات التي يوحي معناها بإقصاء الأول تشويهه والدعوة إلى تجاوزه، بينما تبجيل الثاني وتعظيمه والدعوة إلى تمثله ،(كما يخفى على أحد اليوم أن النصَّ سواء أكان قرآنيّا أم تراثيّا قد شكل أحد أهمّ الإنشغلات العربية والإسلامية في العصر الحديث، وذلك نظرا لما يتمتع به النص من طاقة خالقة في تشكيل الواقع والمستقبل)[2]

فرع الأول: الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة:

إن أمتنا العربية على الصعيد الثقافي لا تبدأ من العدم، بل تتألق من إرث ثقافي غني

---

[1] من العقيدة إلى الثورة (ص 86 ، ج1)

[2] إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، كريمة كربية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

وعميق عمق أصالته و مرجعيته حيث لا يمكن لعاقل التغافل عنه ولا الإحاطة به، حتى تصبح لديه صلاحية الحكم عليه بالجمود والقدم والتأخر عن عجلة النهضة.

يمثل الدين، كمكون اعتقادي، وسيلة إدراكه هي المرجعية المقدسة كحد أقصى (للأصالة والذاتية والهوية، ومن ثم يحق للعقل العربي أن يتمسك إزاءه بخصوصيته الكاملة، إذ لا سبيل هنا إلى معاصرة اللّهم سوى في كيفية قراءة النصوص، وفي القدرة على تأويلها حيث تمكن الاستفادة بالمعارف اللغوية واللسانية والبلاغية الحديثة في الكشف عن باطن النص ومغزاه. أما العلم الطبيعي، فعلى العكس من الدين، يمثل الحد الأقصى من المعاصرة والحد الأدنى من الأصالة، فوسيلة إدراكه هي «العقل» ومن ثم يجسد النسق الأكثر كونية، وبالتالي يتعين ممارسته بموضوعية وحياد من جانب العقل العربي دونما اكتراث بنزعات عبثية من قبيل أسلمة العلوم)[1].

كما أن الثقافة العربية مرنة موائمة التعايش مع الآخر، والإقبال عليه من غير تردد وذلك لتدرعها بأصالة ثابتة ومرجعية فوقية متعالية لا يمكن زحزحتها، (فيقتبس من الآخر ما تحتاجه ثقافتنا لتحقيق معاصرتها ومواكبة الثقافات الأخرى)[2]

فرع الثاني: مفهوم الأصالة والمعاصرة في طرح حسن حنفي:

لا سبيل إلى تجسيد أصالة تتوافق وواقع المعاصرة إلا إن كان المنطلق والحاكم صالح لكل زمان ومكان، فهل يتفق هذا التصور و رؤية الأستاذ حسن حنفي، أم أنه قعّد لمشروعه بعيدا عن هذا المنطلق؟

---

[1] النزعة التوفيقية بين الاصالة والمعاصرة، صلاح سالم، موقع الحياة، 28/09/
http://www.alhayat.com/article/4604957

[2] الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، فرحان السليم،
http://www.saaid.net/Minute/158.htm

1/ معنى الأصالة عند حسن حنفي: لا تعني الأصالة العودة إلى القديم واجترار الماضي، والفخر بالآثار والإعتزاز بها، وكأن الماضي يحتوي على قيمة في ذاته...كما لا تعني الأصالة العودة إلى الدين بالضرورة ... فالأصالة قد تكون في الطبيعة وفي الوجدان وفي العمق التاريخي... كما لا تعني العودة إلى نوع خاص من القيم الدينية أو الإيمان بوجه خاص باعتباره قيمة دينية أولى فالقيم الدينية وحدها ليست هي كل التراث. بل قد تعني العودة إلى الطبيعي وإلى الدنيوي). هذا من جهة ومن جهة أخرى يتغير المفهوم فيصبح(تعني الأصالة أيضا التجانس في الزمان وأن يكون حاضرها استمرار لماضيها، ومستقبلها استمرار لحاضرها، فلا يقع الإنفصام ولا تحدث الإزدواجية في ثقافتها بين أنصار الاصالة والمعاصرة، بين التعليم الديني و التعليم العلماني... كما تعني أيضا القضاء على معوقات التقدم في الحاضر، حتى يمكن ان تتحقق المعاصرة بسهولة ويسر في زمان أقل وبرسوخ أكثر)[1]

معنى المعاصرة عند حسن حنفي: (تعني المعاصرة مجابهة مشكلات الواقع، والدخول فيها، ومواجهتها مواجهة مباشرة، فالمعاصرة تعني هنا رؤية الواقع والإحساس به، والنظر إلى ما تحت الأقدام. وتعني أن يعيش الإنسان أحداث الزمن، وأن يعرف روح العصر، وأن يرفض جميع أشكال الزيف لتغليف الوعي القومي وتعميته ودفعه نحو الغربة والاغتراب. كما تعني المعاصرة كذلك عدم إغفال شيء من مكونات الواقع أو ابتسار جزء منه، بل قبول مكوناته. فالتراث مثلاً جزء من الواقع، يفعل فيه، ويؤثر عليه من خلال سلوك الناس ورؤية الجماهير له. والضنك والبؤس والفقر والجوع والحرمان واقع اجتماعي عريض للأغلبية الصامتة في بعض مجتمعاتنا. كما أن التسيب والخلل والفوضى وغياب العلاقات الواضحة بين الأفراد جانب أيضاً

[1] حسن حنفي، الدين والتحرر الثقافي، (ص54)، الدين والثورة في مصر 1953-1981 ، منتدى مكتبة الإسكندرية.

في واقعنا الاجتماعي. وضياع الولاء، وانحسار القضية، واختفاء الصالح العام كل ذلك أيضاً أحد مكونات مشاعر بعض الجيل وإحساسات العصر.

وتعني المعاصرة أيضاً البحث عن الواقع في أساسه وليس في فروعه، والبحث عن الحلول الجذرية لقضاياه الأساسية وليس عن الحلول المؤقتة التي سرعان ما تتبدد وتبقى القضايا معلقة ودائمة بعد أن ينقضي أثر الحل الوقتي. وبهذا المعنى لا تكون المعاصرة استسلاماً للأمر الواقع بل هي بحث في جذوره التاريخية وأبنيته الحاضرة ومتغيراته المستقبلية. وبهذا المعنى أيضاً لا تعني السير وفقاً لمنطق الأحداث الواقعة تمشياً مع التيار السائد. فالعصري بهذا المعنى اشتراكي مع الاشتراكيين، ورأسمالي مع الرأسماليين. بل تعني المعاصرة أخذ موقف واضح ودائم من الواقع. وتعني إيثار الصالح العام على الصالح الخاص)[1] إلا أنه في كتاب آخر قد شدد على التمسك بالهوية العربية(وفقدان الهوية يؤدي إلى أشكال عديدة من الإغتراب وهي :الاغتراب الديني و الاغتراب السياسي. و على الإنسان أن يثق بنفسه و يسترد شجاعته و يتخلى عن عجزه و يحقق ما يحلم به، و يصبح ما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن)[2]

إذا كان التراث منطلقاً وموضوع دراسة وهدف (فإن التجديد في فلسفة 'التراث والتجديد' يمثل الوسيلة الرئيسية، والأداة التي بدونها لا تحصل عملية التغيير فكرياً واجتماعياً و حضاريا و تاريخيا)[3]

فرع الثالث: التجاوز العقدي بين أصالة حسن حنفي ومعاصرته:

[1] المصدر السابق، ص56

[2] حسن حنفي، الهوية، ص33، ط1 2012، لمجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

[3] مشروع التراث والتجديد عند حسن حنفي، مخططه وسماته، بوبكر جيلالي،
http://www.wata.cc/forums

عند احصاء ومحاولة إجراء إستقراء في كتابات حسن حنفي نجد أن التجاوز العقدي قد بدا واضحا من خلال مستويات التجديد:

– أولاً: التجديد اللغوي، ويتم ذلك عن طريق الإسقاط التلقائي للألفاظ المُتداولة في واقعنا الآن للمعاني القديمة، كما كانت الألفاظ القديمة تعبر عن الواقع التي كانت فيه. هذه المهمة في التجديد اللغوي مهمة صعبة، وينبري لها حنفي نظراً لما يُسميه بقصور اللغة التقليدية؛ في كونها لغةً إلهية، تتمركز حول الله (سبحانه) الذي اسمه في أصول الفقه (الشارع) وفي التصوف (الواحد)... وهنا يظهر المنهج الذي يتبعه حنفي— وهو لا يصرح به— المنهج الفيورباخي (نسبة إلى الفيلسوف الألماني فيورباخ) الذي يتمثل بالإنسانيات المقلوبة. فعند حسن حنفي، أصبح الله— تعالى الله علوا كبيرا— ما هو إلا تعبير عن اقتضاء أو طلب ولا يعبر عن معنًى معين، كما أن اللغة القديمة لغة دينية تتمركز حول الغيب والنبي (ص)، ولغة صورية مجردة. المهم أنه بنهاية المطاف، يريد حنفي أن يعلن عن لغته «الجديدة» التي تقلب هذه اللغة القديمة. فبدلاً من لفظ الإسلام، نضع الأيديولوجيا كمصطلح يتداوله العصر. وهذا الفصل مليء بتناقضات عجيبة، كما أن القارئ سيلاحظ الازدواجية العقلية عند حسن حنفي في نقد الشيء وإثباته بطريقة أخرى.

– ثانياً: اكتشاف مستويات حديثة للتحليل–الشعور ، وذلك بالكشف عن مستويات حديثة للتحليل من خلال مستويات عامة مشتركة بين العلوم الموروثة؛ مما يمكننا من الكشف عنها. أهم هذه المستويات هو الشعور، فهو أدق من العقل والقلب، كما يرى حنفي.

– ثالثاً: تغيير البيئة الثقافية، وهو المستوى الثالث للتحليل بعد المنطق اللغوي ومستوى التحليل الشعوري. ويريد حنفي أن يثبت من خلال هذا المستوى أن العلوم

الدينية التي نشأت، قد قامت من واقعها هي، فهي ليست مطلقة. بل هي علوم نسبية حاولت التعبير عن الوحي ضمن آليات عصرها.

باختصار، يُريد حنفي أن يقول أن كل العلوم هي محاولة لصوغ نظرية أو نظريات علمية حسب واقعها وفهمها لهذا الوحي. ومن هنا يُعطي لنفسه الشرعية كمجدد— كما يعتبر نفسه فقيها أو مجتهدا يجدد للمسلمين أمر دينهم— إعادة بناء العلوم القديمة وفقاً للواقع المعاصر وحاجات العصر، فمثلاً يعيد بناء علم أصول الدين الذي كان يهتم قديماً بمسائل الصفات والذات، أي أنه متمركز حول الإله (سبحانه)، فتتم إعادة البناء بحيث تجعل هذا العلم يناقش (الإنسان) بدلا من الإله. وعلم أصول الفقه الذي أعطى أهمية للعبادات يعيد بناءه بحيث يركّز على المعاملات. والتصوف الذي به قيم سلبية مثل التوكل والإنابة والبكاء يتحول إلى عمل جاد. هذا على مستوى العلوم العقلية. وعلى مستوى العلوم النقلية، فعلم السيرة نجعله يركز على الحوادث لا الأشخاص حيث لا نقع في تضخيم الأشخاص، وعلم الحديث الذي يهتم بالسند نقلبه فيهتم بالمتن.

وهكذا، تشمل إعادة البناء كل علوم التراث؛ من عقلية لعلمية لإنسانية لطبيعية، لخدمة التراث والتجديد، في مشروع المفكر المصري حسن حنفي.

الخاتمة:

تخلص في نهاية ورقتنا هذه إلى النتائج التالية :

- عنوان مشروع حسين حنفى(التراث و التجديد) لا يحمل المعنى الحقيقي للفظ، فمظمون المشروع هو زحزحة التراث، وتكريس الوافد.

- كل حديث في موضوع يتجاوز المجتمع والعالم يكون تعمية تدل على نقص الوعي بالواقع في نظر حسن حنفي.

– إن الثورة التي يقصدها حنفي هي ثورة فكرية في الأساس تعتقد _مثل اليسار الهيجلي_ أن الثورة على الدين في تصوراتنا هي المقدمة الحتمية لثورة واقعية، أي قلب لمضامين اللاهوتية لعلوم الدين إلى مضمون اجتماعي ثوري.

– لما كانت المادية الماركسية المنطلق المركزي في فكر حسن الحنفي، فإن كل ما يؤمن به يجب أن يكون ماديا محسوسا، وما غيره من الغيبيات فلا حظور لها في منطقه.

– لقد راهن حسن حنفي على الاعتزال وعلى إمكان عقلنة اللامعقول الإسلامي، وحاول تمثل الاعتزال في ظاهره، إنما هو اعتزال انفصالي عن المرجعية عكس الاعتزال الاتصالي، الذي كان حارسا عن الدين كله.

– الإتفاق الظاهري الواسع في رؤية الأصالة والمعاصرة لدى حسن حنفي مع بقية الرؤى إلا أن الجوهر قد اختلف بعمق.

من أهم ما يجب الاشارة إليه كوصية في نهاية بحثي أن الذي أدهشني في كتابات حسن حنفي هو صبره و جلده في التأليف و الكتابة، فهو يضع مشروعات ويجد لتحقيقها خلال عمر الثمانين في الوقت الذي ترى فيه الكثير من الباحثين الجادين يتوقفون عند بحث الدكتوراه، يطوي كتبه ويجفف أقلامه، وكأن مهمته انتهت في الوقت الذي تكون قد بدأت فيه فكم خسرت الدراسات الاسلامية و العلمية من باحثين جادين بسبب الانشغالات وعدم وجود مشروعات جادة تستهلك وقت الباحث المتميز.

قائمة المراجع والمصادر:

– معجم المعاني الجامع.
– إسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم حسن حنفي، دار التجديد للطباعة والنشر بيروت.
– المهدي المنجرة، عولمة العولة، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء.

– الصادق النيهوم: الاسلام في الأسر، رياض الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص.

– حسن حنفي، التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت.

– حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، مقدمات نظرية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت–لبنان.

– حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، الإنسان الكامل(التوحيد)، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت.

– حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة، النبوة والمعاد، دار النمر للطباعة، مكتبة مدبولي، القاهرة.

– حسن حنفي، من النقل إلى العقل، علم السيرة من الرسول إلى الرسالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة

– حسن حنفي، الدين والتحرر الثقافي، الدين والثورة في مصر 1953–1981 ، منتدى مكتية الإسكندرية.

– مصطفى النشار، فلسفة حسن حنفي، مقاربة تحليلية نقدية، فيرس تبوك للنشر والتوزيع.

– محمد عوض الهزايمة، محمد أحمد الخطيب، دراسات في العقيدة الإسلامية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن.

– محمد سالم النعيمي، القراءة الحداثية للنص القرآني وأثرها في قضايا العقيدة، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة.

مقالات من مواقع الالكترونية في فكر حسن حنفي:

- التراث والتجديد عند حسن حنفي سماته ومخططه، بوبكر جيلالي.
- الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، فرحان السليم:
http://www.saaid.net/Minute/158.htm
- النزعة التوفيقية بين الاصالة والمعاصرة، صلاح سالم، موقع الحياة، 28/09/
http://www.alhayat.com/article/4604957
- إشكالية التجديد في فكر حسن حنفي، كريمة كربية، مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة السلطان قابوس.
- مراجعة نقدية في فكر الدكتور حسن حنفي، جميل قاسم:
http://www.ebn-khaldoun.com
- التراث والتجديد في فكر حسن، مصطفى السباعي:
http://www.ilmway.com
- https://www.almrsal.com/post/456459 /
13سبتمبر /2018. الساعة: 13:30